# السلفيون وحفظ الأوطان: المنهج والواقع

الأستاذ علاء الدين عبد الهادي

السلفية

هل يحتاج الأمر إلى عناء كبير للتمييز بين من يحرص على مصلحة البلاد وأمنها وبين من يريد إشعال نيران الفتن فيها؟!

وهل من الصعوبة بمكان معرفة من يوافق قوله عمله ممن يخرج علينا دومًا بشعارات جوفاء عن المحبة والتسامح؟!

وهل يستوي اليقظان لقضايا الأمة المصيرية الواعي لدوره تجاهها مع من يتعصب دائمًا لأجندته المبنية على العصبية الجاهلية البغيضة لإخوانه الذين مردوا على النفاق؟!

الإجابات يسيرة على من يسرها الله عليه؛ لأن الواقع خير شاهد، ولكن أصحاب الأقلام المأجورة والمناهج الفاسدة سيكون لهم بالتأكيد رأي آخر!!

كم مرة سمعنا فيها وقرأنا اتهامًا مغرضًا للسلفيين: بأنهم دعاة التشدد، وأصحاب التطرف، ورعاة والإرهاب؟!

وكم مرة رأينا دعاوى تقرن السلفية بالفتن الطائفية، وهي من الفتن براء؟!

وكم رماها أعداؤها عن قلة علم أو سوء نية بضد ما تدعو إليه من منهج إسلامي صاف بعيد عن البدع والأهواء والأفكار المحدثة غربيها وشرقيها؟

ومما يرمي به السلفيون دومًا في خضم هذه المعركة: أنهم أناس لا يحافظون على أوطانهم، بل هم شر على أوطانهم من أعدائها المعلنين بالعداوة، بل زعم المبطلون أنه ما أصاب البلاد من فتن وأمراض اجتماعية إلا جراء انتشار أفكارهم واستفحال خطرهم!! ولك الله إن تركت وحدك في معركة مع هؤلاء في خصومة هم فيها الخصم والحكم، ولك الله حينها لا يكون عدوك عدوًّا عاقلًا ولا حكمًا منصفًا: أما المنصف -وإن خالفك- إذا أراد أن يحكم عليك أو على مجموعة بشرية يجمعها إطار منهجي معين؛ فإنه يرجع إلى الأصول العقدية لهذا المنهج أولًا من واقع

مراجعه وأصوله؛ ويرجع ثانيًا إلى التطبيق العملي من قبل هذه المجموعة البشرية لهذه الأصول من واقع تاريخهم والأحداث التي مرت بهم، يفعل ذلك بتجرد ثم يقدم رؤيته وحكمه. ولكن القوم لم يكونوا صادقين مع أنفسهم فضلًا عن أن يكونوا كذلك مع غيرهم؛ فيتبعوا هذا الطريق المنصف، ولم يكونوا عادلين في أحكامهم إذ تحركهم دومًا الأهواء وليس طلب الحق، ولم يتحلوا كذلك بالشجاعة العلمية اللازمة؛ ليقارعوا الحجة بالحجة والبيان بالبيان، بل عادتهم التشغيب وإلقاء التهم جزافًا، ثم الهروب من المواجهة، ودأبهم المظلومية الزائفة، وبكاء حال الأوطان، والتشبه بلابس ثوب الحكمة والحكمة له مجافية.

وفي هذه العجالة نستعرض منهج السلفيين وأفعالهم في هذا الجانب (الحفاظ على الأوطان)؛ لكي نكون على بينة من أمرنا، ونخلص الحقائق من الأكاذيب.

**أولًا**: في الجانب المنهجي: لو طالعت كتب السلفيين ومراجعهم وأدبياتهم لوجدت كثيرًا من المصطلحات ذات الدلالة بخصوص أمن الأوطان والحفاظ عليها، ومن ذلك:

١- السلفية منهج إصلاح شامل، وسط بين منهجين: منهج التغيير المسلح الصدامي غير المنضبط بضوابط الشرع في الدماء والأموال، ولا العابئ بالمفاسد والمصالح، ولا المراعي لموازين القدرة والعجز، ومنهج التغيير السياسي المتلون من جهة أخرى؛ فبينما سعى الاتجاهان الآخران للسلطة -بالعنف أو بصناديق الانتخابات- لنوال الحكم والسيطرة عليه أو المشاركة فيه لم يسع السلفيون للحكم بأنفسهم، ولا دعوا إلى أنفسهم وأعلامهم، بل يدعون دائمًا إلى أن يكون الحكم لله، وأن يحكموا هم بشرعه، وليس أن يتولوا هم هذا الحكم بالضرورة.

وهذا التغيير المنشود ليس مبهمًا ولا ضبابيًا، بل هو تغيير منصب أساسًا على البشر، وموجه إلى عامة الناس: قوامه الحرص على إيجاد الفرد المسلم الذي حسن إسلامه، وتم بناء شخصيته في تكامل مأخوذ من تكامل الإسلام نفسه؛ تربية متوازنة، وعلمًا نافعًا، وعملاً صالحًا، وعقيدة سليمة، وأخلاقًا حسنة، وسلوكًا سويًا كما بين الرسول ﷺ ذلك كله في سياق بيانه للدين في حديث جبريل عليه السلام عن الإسلام الإيمان والإحسان.

وهو كذلك تغيير قائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من السلف الصالحين

السلفية

أئمة الدين، دعوة لتغيير حياة الأفراد ونظام المجتمع وأسلوب الحكم، وليس تغييرًا أجوف من أجل التغيير فحسب، ولا تغييرًا ذا نظرة ضيقة من أجل إسقاط حزمة قوانين ومواد دستورية، أو معارضة لحكم قائم أو خروجًا عليه، ولا لتغيير وجوه واستقدام آخرين، ولا لنصرة حزب سياسي لا يعترف بأحكام الشرع الحكيم.

السلفيون لا يستحلون دماء المسلمين ولا المعاهدين من غيرهم، ولا أعراضهم، ولا أموالهم، ويرونها كلها معصومة محرمة بعصمة الشرع وتحريمه لها.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عرض المنهج السلفي قضية الاحتساب؛ أي: إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، وإشاعته قدر الإمكان والوسع والطاقة بين كل من يقدر عليه؛ نصحًا يقوم به بنفسه أو بغيره متعاونًا معه في ذلك، أو تنبيهًا لغيره من القادرين عليه، وهذه الحسبة لها ضوابط وآداب ينبغي على القائم بها مراعاتها وإلا كان مفسدًا غير مصلح، منفرًا من الحق غير داع إليه، بل ينبغي للمحتسب أن يكون مخلصًا في ذلك حتى تكون دعوته إلى الله وليس إلى نفسه، صابرًا على ما أصابه؛ كما ينبغي أن يكون أمره بالمعروف معروفًا ونهيه عن المنكر غير منكر.

وإن كان غير السلفيين يتشدقون بالدعوة إلى الإيجابية والحراك المجتمعي من أجل التغيير وغير ذلك من الألفاظ الرنانة، فالسلفيون رأوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطه وضوابطه وإصلاح المجتمع على نور الوحي وضوء الشريعة أفضل فعل إيجابي يقومون به كما أمر الله، من أجل حفظ هذا المجتمع وصيانة هذه الأوطان.

٣- مراعاة المفاسد والمصالح: يجتهد السلفيون في استجلاب المنافع والمصالح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، ويدفعون المفاسد والمضار عن المسلمين قدر طاقتهم، ويتعبدون لله بتقديم أكبر المصلحتين إن تعارضتا، ودفع أكبر المفسدتين إن أوشك حدوثهما معًا، وذلك في كافة شئونهم من الفعل والترك، والأمر والنهي، والحركة والسكون، والنطق والسكوت، بل لعل هذه الجملة: (مراعاة المصالح والمفاسد) لم توجد أكثر انتشارًا إلا على ألسنة العاملين بمنهاج النبوة؛ السائرين على طريق السلف الصالح، مع تأكيدهم على أن موازنة المصالح والمفاسد إنما يكون بميزان الشريعة المعصومة؛ فنقدم ونعظم ما قدمه وعظمه الله الحكيم ورسوله الكريم ﷺ،

ونؤخر ما أخره الله ورسوله كذلك.

٤- أدب الخلاف: السلفيون يقرون بوقوع الاختلاف بين الناس في التصورات والرؤى، وما يتبع ذلك من أحكام وتوجهات؛ إذ الاختلاف سنة كونية، فأصَّلوا له أصولًا شرعية مستمدة من الكتاب والسنة، ونصوا على آداب مأخوذة منها، وتأسوا في ذلك بسلف الأمة الذين وسعهم ما ينبغي أن يسعنا، والذين أنكروا على أشياء أخرى ينبغي علينا إنكارها هي وأشباهها.

وفرق السلفيون بين خلاف التنوع وخلاف التضاد، وبين الخلاف السائغ الذي لا يصادم كتابًا ولا سنة ولا إجماعًا ولا قياسًا جليًّا وبين الخلاف غير السائغ الذي يعارض النصوص والإجماع، وذكروا الواجب نحو هذا الخلاف في كل حالة من هذه الأحوال.

فاختلاف التنوع: يستثمر في تحقيق التكامل في العلوم والأعمال حتى ترتقي الأمة بأبنائها ويصلح المجتمع المسلم.

واختلاف التضاد: يرد ويحارب بإحقاق الحق وبيانه وإبطال الباطل وإزهاقه، مع التفريق بين المصر على الكفر أو البدعة أو الضلالة؛ فيبغض ويحذر منه وبين المجتهد المخطئ الذي عامة حياته وأعماله في نصرة دين الله واتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ، فهذا إن زل في مسألة بخصوصها يرد فيها قوله وتبقى منزلته، وتذكر حسناته ويدعى له بالمغفرة.

كذلك دعا السلفيون الناس برفق لتضييق فجوة الخلاف بالالتفاف حول الكتاب والسنة، والاجتماع على كلمة التوحيد، وعرضوا كل هذه القضايا برقي ووضوح لم يوجد مثله عند كثير دعاة التنوير المزعوم؛ الذين يتهمون السلفية بجمود الفكر وضلال المذهب، وينسبون إليها كل بلية استجلبوها هم علينا، في الوقت الذي يمارسون ضد السلفيين كل ما يستطيعونه من: صور الاستهزاء، والحرب، والتضييق، والملاحقة.

والحاصل: أنه كان لهذا الأدب السامي في الخلاف عامل كبير في تواصل السلفيين مع غيرهم ممن خالفوهم، وكان لهذا التواصل كبير الأثر في حفظ الأمن الاجتماعي.

حب السلفيين لأوطانهم وعملهم من أجل حفظها إنما هو نابع من دينهم وعقيدتهم؛ فخالفوا بذلك أهل الدعوة إلى القومية والوطنية والتحزبات الطائفية الإقليمية، وغير ذلك من الدعاوى الفارغة.

٥- قضايا الإيمان والكفر: كل ما ذكرنا إنما هو راجع في الأساس لأصل العقيدة عند السلفيين، والتي اشتركوا فيها بفضل

السلفية

الله مع عامة المسلمين الموحدين أتباع الحق في مشارق الأرض ومغاربها؛ ونعني: بهذه العقيدة قضايا الإيمان والكفر:

فالسلفيون يثبتون الإسلام لكل من نطق الشهادتين وبرأ من الشرك، ويعدونه أخًا لهم وحسابه على الله تعالى، ولا يتوقفون في ذلك، ولا يمتحنون غيرهم على الإيمان، ولا يكفرون أحدًا بذنب وإن كان مرتكبًا كبيرة ما دام غير مستحل لها، ويرون صحة الصلاة خلف كل بر وفاجر، وصحة الجهاد خلفه إن كان ذا راية غير جاهلية ممن تولى أمور المسلمين ما دام يقودهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الجملة، وفسقه إن كان فاسقًا فعلى نفسه، ويسألون الله الثبات للبار، ويسألونه الهداية للعاصي، ويترحمون على أموات المسلمين ولو لم يعرفوا شخوصهم ولم يخالطوهم.

والسلفيون لا يستحلون دماء المسلمين ولا المعاهدين من غيرهم، ولا أعراضهم، ولا أموالهم، ويرونها كلها معصومة محرمة بعصمة الشرع وتحريمه لها، ولا يرون تكفير مسلم بلا بينة أوضح من الشمس في وضح النهار، ولا يسارعون فيه بل لا بد لديهم من استيفاء شروط وانتفاء موانع يفتي بها أهل العلم الأثبات، ويفرِّقون بين كفر العين وكفر النوع؛ فليس كل من وقع في شيء من أفعال الكفر كافرًا، بل لعله جاهل أو متأول؛ فيعذرون الجاهلين بجهلهم الناشئ عن عدم البلاغ، ويجتهدون في تعليمهم، والتحذير من الشرك وأبوابه وذرائعه بالحسنى والكلمة الطيبة.

والأصل في المسلمين الذين ولدوا على الإسلام أو نطقوا الشهادتين أو أقاموا الصلاة الإسلام إلا ما طرأ عليهم، والسلفيون يوالون عامة المسلمين ويناصرونهم مهما تباعدت أوطانهم واختلفت لغاتهم؛ يحبونهم لإسلامهم وإن ظلموهم وأخذوا أموالهم، فيكرهون منهم ظلمهم ومعصيتهم وبدعتهم إن وقعوا في شيء من ذلك، ويحبونهم بقدر ما معهم من إيمان وطاعة، ويزوجونهم ويتزوجون منهم، ويأكلون طعامهم ويطعمونهم، ولا يرون لأنفسهم فضلًا على أحد إلا بما سمى الله تعالى من التقوى التي في القلوب فلا يطلع عليها إلا هو.

**ثانيًا: في الجانب العملي**: السلوك مرآة الباطن؛ فما يعتقده الناس في دواخلهم يظهر على تصرفاتهم واختياراتهم، فكل ما يشيع بين أفراد مجموع بشرية ما؛ فإنما هو محصلة عقيدتهم وخلاصة منهجهم؛ لذلك لم يختلف بفضل الله الجانب العملي لدى عامة السلفيين

عن المنهج العقدي الذي عرضنا بعض جوانبه، ولم يناقضوا أنفسهم بالادعاء علنًا غير ما يفعلونه ويفتون به ويحثون عليه، وقد كان السلفيون بفضل الله وحده عليهم وبعصمته لمنهجهم أحرص الناس على الاجتماع ونبذ التفرق، وأكثرهم تمسكًا بحماية الأوطان والبلاد والعباد، وإيثار المصلحة العامة الحقيقية على ضوء الشريعة على كل مصلحة أخرى تتدخل فيها الأهواء فكل باحث منصف يقر بدور المنهج السلفي والسلفيين قديمًا وحديثًا في تقليص دائرة العنف ولذلك لم يقف السلفيون وسائر المسلمين يومًا في وجه الأجهزة الأمنية مصطدمين بهم وإن ضيقت عليهم هذه الأجهزة نفسها، ولم يشتبكوا معهم أو يناوشوهم إذ يرونهم محل دعوة كغيرهم من المسلمين، ولم يتحدوهم ليعلنوا حالة من الفوضى المتعمدة، ولم يلقوا عليهم يومًا قنابل المولوتوف ولا أدموهم بالحجارة، ولا واجهوهم بالأسلحة البيضاء والعصي وقضبان الحديد، ولم ير السلفيون في ذلك حربًا مقدسة يستنفر لها الناس ويحشد لها راغبو الشهادة.

ولم يتجمع السلفيون يومًا بالآلاف؛ ليحاصروا المباني والمتلكات العامة، والمنشآت الحكومية أو يقتحموا أسوارها عنوة؛ لاحتجاز من فيها كرهائن ليفرضوا رأيهم بالقوة أو يقرروا أمرًا واقعًا رغم أنف الجميع.

لم يتعاون السلفيون مع أعداء دينهم ووطنهم في الداخل ولا في الخارج، ولا فتحوا معهم قنوات للاتصال والحوار، ولا نسقوا مع أحد أو جهة ما بالمهجر ولا غيره من أجل الضغط على حكوماتهم أو بلدانهم، ولا لأجل كسب ورقة جديدة في مفاوضات من أجل مصلحة طائفية على حساب البلاد.

لم يروع السلفيون الآمنين من السكان في بيوتهم، ولم يتسببوا في الذعر للمارة في الطريق، ولا للطلبة والطالبات في مدارسهم، ولا تدربوا وسطهم على حرب الشوارع، وكر العصابات، وتطويق الهيئات، واختطاف الرهائن.

ذلك كله وغير ذلك كثير لم يفعله السلفيون؛ ليس ضعفًا منهم أو غفلة عن هذه الأساليب الرخيصة، ولكن لقوة لديهم يستمدونها من الشرع، وليقظة لديهم تدلهم على عدم مشروعية كل هذه الأعمال التخريبية وخطرها على أوطانهم ودعوتهم وأهليهم عامة الشعب المسلم وعلى البلاد ككل.

وبقي أن نذكر أمرًا مهمًا وهو أن ما ذكرناه من قضايا منهجية وكيف طبقها السلفيون

**قال البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**
**قبح الله خبزةً أبيع بها ديني، وأعق بها سلفي، وأهين بها نفسي، وأهدم بها شرفي، وأكون بها حجة على قومي وتاريخي.**
«الآثار» (٣/١٥٦).

ليست وصفًا لمنهج منفصل عن الإسلام، بل هو الإسلام ذاته بنقائه وصفاته، وليس نتاج خبرات أو آراء بشرية بل هو المنهج الرباني الذي ورثناه عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، والذي اصطلحنا على تسميته بـ (**السلفية**) وكل ذلك تجده مبثوثًا منتشرًا مبذولاً في كتب السلفيين ومجالسهم ومصادرهم ومواردهم، منصوصًا عليه في الكتاب، صح عن النبي ﷺ في السنة، ولكن قلَّ المنصف!! إن حبنا لأوطاننا ليس تشدقًا وحبًّا للظهور وتكسبًا وتجارة باسم الوطن، بل محبة أن يظهر الخير فيها وعليها، وليس تشبهًا بعصبية أهل الجاهلية لأرضهم، وحبنا لأوطاننا فطرة جعلها الله في قلب كل من شب فوق أرض ما واستظل بسمائها.

لكن للأسف لقد كانت دائمًا السلفية والسلفيون بالتبع في مرمى القذف بالباطل، وفي دائرة الاتهام، وقد لاقى السلفيون ذلك بلا ذنب جنوه، ولا مخالفة ارتكبوها، تتناوشهم الأيدي مرة وهم ثابتون، ويؤخذون بجريرة غيرهم وهم صابرون محتسبون، ويرميهم الكتاب المأجورون، والمتآمرون، والإعلاميون المنافقون، وغير المنصفين، إذا فاقوا من سكرهم وشهواتهم، يرمونهم بالبعد عن صحيح الدين ووسطيته، وليتنا نتعلم منهم أين وسطيته تحديدًا، بل يستعدون عليهم غيرهم، ويشوهون لدى الناس دعوتهم، ويغرقونهم بالجرح والاستهزاء واللمز، ويتهمونهم بسرقة المجتمع، والتخلف والجمود الفكري، والتسويق لثقافة البداوة والانعزال والتطرف والإرهاب، والأعجب من ذلك بإثارة الفتن والخطر على الأوطان! وفي الوقت نفسه يوالون أهل (الحرب المقدسة) ويسارعون فيهم!!

والآن أخبرني يا رعاك الله: هل يحتاج الأمر إلى عناء كبير للتمييز بين من يحرص على مصلحة البلاد وأمنها وبين من يريد إشعال نيران الفتن فيها؟! وهل من الصعوبة بمكان معرفة من يوافق قوله عمله ممن يخرج علينا دومًا بشعارات جوفاء عن المحبة والتسامح؟! وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# حكمة العلماء

## الشيخ عبد الرحمن السعدي

السلفية

اشترى الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حطبًا من جمَّال، وطلب منه أن يحمله إلى منزله كعادة أهل بلده، وأثناء إنزال الجمَّال للحطب وقعت علبة دخان من جيبه ولم ينتبه، فأخذها الشيخ، وقال له: هذي لك ؟ .

قال بعد تردد: نعم هذه لي؛ لكنك يا شيخ تدري وش فيها؟ (ما بداخلها) قال الوالد: نعم دخان، قال الجمال: وتعطينيها يا شيخ؟ قال الوالد: نعم؛ لأنك إذا ما لقيت العلبة سوف تشتري بقيمة الحطب الذي بعته بدلًا منها، وتجوِّع عيالك، وتحرمهم من الرزق، والهادي الله سبحانه.

قال له الجمال: باسم الله ... وأخذ العلبة وَكَبَّ (رمى) ما فيها من دخان وأوراق بالأرض، وقال: اللهم إني تبت إلى الله، ولن أعود للدخان مرة أخرى».

«مواقف اجتماعية من حياة الشيخ السعدي» (ص ٦٨).



